أعمى اريحا

نقرأ هذا النص في متى ومرقس ولوقا.

في إنجيل متى نجد يسوع يُشفي أعميين(مت29:20) أمّا عند مرقس الإنجيليّ نقرأ عن شفاء أعمى يدعى برتيماوس(مر46:10) والأمر نفسه عند لوقا الإنجيلي دون أن يذكر اسمه (لو35:18).

لنبدأ بإنجيل متى:

- **وفيما هم خارجون من اريحا:** ودع الرّبّ اريحا التي أهدرعليها بركاته. هذا الجمع الكبير الذي تبع يسوع خليطًا، البعض تبعوه من أجل إشباع بطونهم، والعض الآخر لأنهم أحبوه، البعض تبعوه لإشباع شهوة حب الإطلاع، والعض الآخر تبعوه على رجاء إنتظار الملك الآتي الذي كان يشكّل حلم الشعب اليهودي، والبعض وقد تكون الأقليّة تبعوه من أجل التعليم.
- **اعميان جالسان على الطريق:** جيّد أن نتوقف أمام جلوسهما. إفترشا الأرض كشحاذّين ولكن هذه المرة طلبا أكثر بكثير من القوت اليومي. طلبا الإفتقاد والرحمة والخلاص. وهذا الخلاص لا يأتي إلاّ من الله. فمن يريد الله يسلك في طرقه.
- **فلما سمعا أن يسوع مجتاز صرخا قائلين ارحمنا يا سيّد يا ابن داود:** إتحد الاعميان في طلبهما، فصرخا معًا، والإتحّاد بالصلاة مسرّة عند الله(مت19:18). الألم وحدّهما، والعطش إى الخلاص أيضًا وحدهما، فلم يعد الطلب طلبين أو الصرخة صرختين، بل طلب واحد وصرخة واحدة.

كيف عرفا أن يسوع ماراً، يوضح لنا الكتاب أنهما:" **سمعا**". كيف هذا وكثير من الناس يمرّون أمامهم، ماذا سمعا؟ في الحقيقة لقد سمعا إبتهالات الشعب، فتحركت أحشائهم وباتوا في حالة لم يعهدوها من قبل. نفسهما نادت الله.

- وأكثر كن ذلك، لقد تفوق هذين الأعمين على الآخرين. فإنتهزا الفرصة ، فرصة مرور الرّبّ من هناك، وبالفعل لقد ودّع الرّبّ هذه المدينة. فكان لهم هذا الوقت مقبول.

- **إرحمنا يا سيّد ابن داود:** كررا هذه العبارة مرتين. وكرراها بصراخ لا مثيل له. إنتهرهما الجمع ليسكتا فصرخا أكثر وإشتعلت قلوبهما لهيباً، لقد أدركا بعمق نفسيهما الحضور غير الطبيعي. وهذا يجسّد المعنى الحقيقي للإنسان المؤمن." يا ربّ إليك صرخت". فندخل في حالة صراع وكلمّا ثبتنا كلما إزدادت البركات والنعم.

وكلمة ارحمنا هي إشارة أن الإنسان لا يستطيع أن يخلّص نفسه بنفسه، بل هو بحاجة للخلاص الإلهي ورحمته.

- أمّا عبارة ابن داود فهي تحمل معنىً لاهوتيًا كبيراً. فلا يمكن فصل هذا اللقب عن لقب "المسيّا"، فالمسيّا هو من نسل داود، بحسب الموعد.

لقد قبل يسوع هذا اللقب، ولكن رفض أن يطبّق عليه لقب الملك الزمني، لأن هذا اللقب يحمل في طياته التدبير الخلاصي بكامله. وهذا يتجلّى بالحوار الذي جرى بين الرّبّ والفريسيّن، لمّا سألهم يسوع:" ماذا تظنون في المسيح، ابن من هو؟ فقالوا له ابن داود. فقال لهم فكيف يدعوه داود بالروح ربّاً؟... وقد عجزوا عن إجابته.

من هنا نفهم أن الأمر يتخطى مفهوم البنوّة الجسديّة، فإبن داود هو ربّ داود.

فما قاله الأعميان هنا هو إعلان إلهي، وقد نادوه بإسمه، فهل يمكن ان لا يجيب؟

- **فوقف يسوع وناداهما وقال لهما ماذا تريدان أن أفعل بكما:** على عكس المحيطين، يسوع إستجاب. ففوق كلّ الصعاب الرّبّ يسمع ويستجيب إذا كان الأمر لخلاصنا. وبالرغم أنه كان منهمكًا أن يتممّ رسالته في أورشليم، وقف وإستجاب.

لأن صلبه وقيامته لا ينفصلان عن خلاص الإنسان، فهو لم يفعل شيء لأجل نفسه بل من أجل كلّ واحد منّا.

وفي جواب يسوع أكثر من إستجابة، فهو تأكيد أن الشخص الذي ناداه الأعميان هو صاحب السلطة والكلّي القدرة، لذا سألهما: ماذا تريدان أن أفعل بكما؟ إسألوا تُعطوا.

قد يبدو الامر غريب للوهلة الاولى، وخاصة لنا نحن المسيحيون، فقد نقول:" طبعًا يطلبان الشفاء، ولكن هل هذا الأمر بهذه السهولة لهما؟

كان الرّبّ يريد أن يسمع الجميع قوة إيمانهم بالآتي بإسم الرّبّ. الله يعرف مسبقًا ما نريده نحن منه، ولكنه يريد أن يعلّمنا أن نثق به ونتكل عليه بكلّ شيء. أن نرتمي نحن في حضن الرّب كونه الأب الحقيقي لكل البشر.

- **قالا له يا سيّد أن تنفتح اعيننا:** ويُستحيل أن يكونا قد قدما هذا الطلب إلى أحد. وبلغتهما، تتضح الثقة.

ويقول المثل اللاتيني: الإصبع يشير بسرعة إلى موطن الداء. وليتنا نكون مثل هذين العميانين نشير فوراً إلى الداء الساكن فينا، ونعرف عاهاتنا ونكشفها أمام الرّبّ.

كثيرون مصابون بالعمى الروحي ومع ذلك يقولون إنهم مبصرون، من هنا قال يسوع:" لو كنتم عمياناً لما كانت لكم خطيئة، ولكن الآن تقولون اننا نبصر فخطيئكم باقيّة."(لو39:10). **فتحنن يسوع ولمس أعينهما فللوقت أبصرت أعينهما فتبعاه:** وهنا نرى عمل الله وتجسده،حنان، إفتقاد، شفاء، ونور.

فتبعاه. فمن يرى النور يتبعه ولا يمشي في الظلام.

ملاحظة: نقرأ عند مرقس ولوقا العبارة التاليّة التي قالها يسوع للأعمى: "إيمانك قد شفاك". وهذا أمر مهم جداً، لأن من يطلب بإيمان يستجاب له.

وأيضًا نقرأ عند لوقا عبارات أكثر:

- تبعه وهو يمجّد الله.
- وجميع الشعب إذ رأوا سبحوا الله: وهذا هو عمل الجماعة أن يروا ويسبّحوا الله.

آمين